

مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين في دعوة المهدي بن تومرت وأثرها في قيام دولة الموحدين عدة الشيخ

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف

echchikh@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/10/29؛ تاريخ القبول: 2022/02/17

**Manifestations of focus on the mistakes of the Almoravids
in calling Mahdi bin Tumart and their impact on the
establishment of the Almohads state**

adda chchikh

Abstract:

Through the pages of this research we will try to address the great role played by the preacher of the Almohads - Abdullah bin Tumart - in establishing the pillars of the Almohad state at the expense of the Almoravid state, and to point out the most important personal qualities and competencies that he enjoyed in terms of intelligence, wit and political malice, resulting from His extensive knowledge of the sciences of his time from religious and mental sciences, which earned him a great capacity for pilgrims and debate, and enabled him to force debate and overcoming opponents, and also talk about the most prominent means and methods that he used in order to succeed in his vocation and win the confrontation with the Almoravids, and how to employ his intelligence and intelligence in the conflict With them, through his monitoring of their mistakes and investing in them in his favor, especially their big mistake of burning the book - The Revival of the Sciences of Religion - by Abu Hamid Al-Ghazali, which he used to distort their image and incite people against them, until he was able, thanks to the help of his leader, Abdul-Mu'min bin Ali, to defeat them, The establishment of the Almohads state at the expense of their state in the Maghreb and Andalusia.

Keywords:

Abdullah Bin tumart; almoravid; almowahid; the Islamic Maghreb; al-Ghazali .

الملخص:

سنحاول من خلال صفحات هذا البحث، التطرق الى الدور الكبير الذي قام به داعية الموحدين- عبد الله بن تومرت-، في إقامة أركان دولة الموحدين على حساب دولة المرابطين، والإشارة الى أهم الصفات والكفاءات الشخصية التي تمتع بها من ذكاء ودهاء وخبت سياسي، ناجم عن كثرة اطلاعه على علوم زمانه من علوم دينية عقلية، الأمر الذي أكسبه قدرة كبيرة على الحجاج والجدال، ومكنه من قوة المناظرة والتغلب على الخصوم، والحديث أيضا عن أبزر الوسائل والطرق التي استعملها في سبيل انجاح دعوته وكسب المواجهة مع المرابطين، وكيفية توظيفه لذكائه ودهائه في الصراع معهم، وذلك من خلال ترصده لأخطائهم والإستثمار فيها لصالحه، وخاصة خطئهم الكبير المتمثل في حرقهم لكتاب-احياء علوم الدين- لأبو حامد الغزالي، والذي استعمله في تشويه صورتهم، وتأليب الناس عليهم، حتى تمكن وبفضل مساعدة قائده عبد المؤمن بن علي من الإنتصار عليهم، وتأسيس دولة الموحدين على حساب دولتهم في بلاد المغرب والأندلس.

الكلمات المفتاحية: عبد الله بن تومرت؛ المرابطين؛ الموحدين؛ المغرب الإسلامي؛ الغزالي.

مقدمة:

تشير الكثير من الدراسات التاريخية وبالأخص الحديثة منها، الى فطنة ودهاء داعية الموحدين عبد الله بن تومرت في دعوته وصراعه مع المرابطين، كما تؤكد بأنه قد عرف كيف يستثمر في عثرات المرابطين وأخطائهم الكثيرة، وبالأخص خطئهم الكبير المتمثل في احراق كتب أبو حامد الغزالي، والذي وصف بالجسامة والشناعة من قبل الكثير من الفقهاء والعلماء آنذاك، بما في ذلك حتى المعتدلين منهم، وليس فقط من المعارضين لحكم المرابطين، من أمثال المتصوفة المعظمين للغزالي والمدافعين عن كتبه، أو من الموالين

لخصوصهم الموحدين، وسنشير الى هذا الردود المنددة بالعملية في مكانها لاحقاً.

لكن وقبل الخوض في تفاصيل بحثنا هذا، ارتأينا طرح الاشكالية الآتية: فيما تتمثل أبرز نقاط قوة شخصية المهدي بن تومرت، وما هي أهم الوسائل والخطط التي اعتمد عليها في دعوته ضد المرابطين، وكيف مكنه أسلوبه هذا من استثمار أخطائهم وحسم الصراع معهم لصالحه وأتباعه الموحدين على حساب دولتهم في المغرب الإسلامي؟

1- التعريف بعبد الله بن تومرت وبيان الخلاف حول انتسابه لآل

البيت:

أولاً- التسمية والميلاد:

هو عبد الله بن تومرت السوسي الهروي المصمودي، مؤسس دولة الموحدين، ويسمى بالبربرية أمغار، وبالعربية الشيخ، ويقول بعض المؤرخين ومنهم ابن خلدون عن اسمه الكامل أنه: ↓ محمد بن عبد الله ابن وجليل ابن بمصال بن حمزة بن عيسى". ويقول أيضاً نقلاً عن مؤرخي المغرب أنه: ↓ محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا ابن سفيون بن الكلديس بن خالد " (عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1999: ج3/301)

كما اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها ابن تومرت، فقال ابن خلكان أنه ولد في سنة (484هـ/1091م). (أحمد ابن خلكان، 1972: ج46/5)، وقال الزركشي أنه ولد في سنة (491هـ/1097م). (الزركشي محمد، 1966: 4)، وقال أيضاً نقلاً عن ابن الخطيب الأندلسي أنه ولد في سنة (486هـ/1093م). ويقول أيضاً نقلاً عن الغرناطي أنه ولد في سنة (471هـ/1078م). (الزركشي محمد، 1966: 4)، وبالنسبة للباحثين المتأخرين، فقد قال حسين مؤنس، أنه ولد في سنة (485هـ/1092م). (حسين مؤنس، 1992: 202). وقال عبد المجيد النجار، أنه ولد في سنة (473هـ/1080م). (عبد المجيد النجار، 1995: 57). وغيرها من الاختلافات والترجيحات الثابت من خلالها، أنه ولد في أواخر القرن الخامس الهجري- السادس ميلادي.

ثانياً- نسبه:

اختلف المؤرخون في تحديد نسب ابن تومرت مثلاً اختلفوا حول تاريخ مولده ووفاته، فبعضهم قال أنه عربي ينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق علي رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله عليه وسلم، هذا ما أكدّه ابن خلكان (أحمد ابن خلكان، 1972: ج5/45)، وابن أبي زرع (ابن أبي زرع، 1972: 172)، وصاحب الحلل الموشية (مجهول، 1989: 85). وأكد ذلك كل من عبد الرؤوف الفقي (الفقي عبد الرؤوف، د.ت: 264)، وعبد المجيد النجار (عبد المجيد النجار، 1995: 56).

والبعض الآخر ينفي عنه النسب القرشي ويجعل نسبه بربريا صرفاً، وهذا ما أكدّه ابن خلدون عندما قال: «لوزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت» (عبد الرحمن ابن خلدون، 1999: ج6/301)، وهشام أبو رميلة (هشام أبو رميلة، 1984: 31)، وابن القلانسي بقوله: «ابن تومرت من جبل السوس ومولده به وأصله مصمودي» (ابن القلانسي، 1983: 31). ويقول الصلابي نقلاً عن عبد الله عنان: «إنّ هذا الإدعاء -النسب القرشي- ما هو إلا نحلة باطلة وثوب مستعار قصد من ورائها ابن تومرت أن يدعم بها صفة المهدي التي انتحلها وإيضاً شعاراً لرياسته وإمامته» (عبدالله عنان، 1990: 557).

بالتالي فإنّ انتساب ابن تومرت إلى آل البيت، وإدّعاءه النسب القرشي، ما هو إلا وسيلة منه لكسب الأنصار لدعوته. وخدعة من رجل ادّعى أنّه المهدي المنتظر، فهي الطريق السليم الذي يضمن له الوصول إلى أهدافه التي كان يسعى إليها من التغيير السياسي والإطاحة بدولة المرابطين.

ثالثاً- رحلته في طلب العلم ووفاته:

تؤكد جل الروايات التاريخية، على أن عبد الله بن تومرت كان رجلاً فقيراً مشغولاً بطلب العلم وتحصيله، وقد ارتحل إلى المشرق لطلب العلم حيث التقى بمشايع العلم هناك وسمع منهم، وأخذ عنهم علماً كثيراً، وحفظ الكثير من الأحاديث، ونبغ في علم الأصول والإعتقادات، ويقال أنه لازم الإمام أبو حامد الغزالي مدة ثلاثة سنوات

لإقتباس العلم منه، ويقال أنه هو الذي تنبأ للمهدي بأنه سيكون له شأن عظيم في المغرب (أبو بكر البيهقي، 11:1971).

وروي أنه هو من ذكر للغزالي ما فعله أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب من إحراقها وإفسادها، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالي حين بلغه ذلك: (ليذهبن عن قريب ملكه وليقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضر مجلسنا، وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم، فقوى طمعه). (المقريري تقي الدين، 1998: ج4/192).

مع ذلك، فإن اللقاء بين ابن تومرت والغزالي هو موضع شك عند بعض المؤرخين، فمنهم من يقول بأن ابن تومرت إلتقى بأبي حامد وكانت له معه جلسات عديدة ولقاءات كثيرة لمدة من الزمن قاربت الثلاث سنوات، ومنهم من قال بأنه لم يجتمع ولم يلتقي بالغزالي (عبدالرحمن ابن خلدون، 1999: ج6/301). ذلك لأن ابن تومرت لم يغادر المغرب قبل سنة (500هـ/1106م)، ولم يصل إلى بغداد إلا بعد سنة (505هـ/1111م)، وبذلك تكون امكانية لقائه بأبي حامد الغزالي غير ممكنة، لأن سنة خروج ابن تومرت من المغرب ووصوله إلى العراق ، توافقت مع وفاة أبي حامد الغزالي.

أما عن وفاته، ففيها اختلاف كذلك كحال ميلاده، فيقول عبد الواحد المراكشي في معجبه، أنه توفي في سنة (524هـ/1129م) (المراكشي عبد الواحد، 2006: 136)، ويقول أبو المحاسن، أنه توفي سنة (527هـ/1132م). (ابن تغري بردي، د.ت/ج5: 254). والمؤكد أنه توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري.

2- شروع ابن تومرت في حملته الدعوية ضد المرابطين :

بعد ما إن استوفى دراسته في المشرق، عزم عبد الله بن تومرت على العودة إلى وطنه ببلاد المغرب، ليبدأ دعوته الإصلاحية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (حمدي عبد المنعم، 1997: 86)، اذ وبعد مروره بمصر، نزل بتونس ومنها إلى قسنطينة، ثم إلى بجاية حيث تعرف خلال الدروس والمواعظ التي كان يقدمها للناس، على عبد المؤمن بن علي الكومي، الذي لازمه أينما حل وأزره في دعوته وشاطره مصيره (حمدي عبد المنعم، 1997: 86).

ليغادرا بعدها (ابن تومرت وصحبه بجاية متوجهين إلى تلمسان، ومنها إلى فاس، فنزل بعدة مساجد بها واعظاً، فأخذ الناس يهرعون إليه لينهلوا من علمه. وفي فاس أمر طلبته بمهاجمة حوانيت الطرب وتحطيم كل ما بها من آلات) (ابن أبي زرع، 174:1972)، ولما بلغ والي المدينة المرابطي أمره، (جمعه مع نفر من فقهاء فاس للمناظرة فتفوق عليهم ابن تومرت، فأشار الفقهاء على الوالي إخراجهم من المدينة حتى لا يفسد عقول العامة، فأخرجه منها). (المراكشي عبد الواحد، 139:2006)، ومضى منها إلى مكناسة (أنظر التعليق رقم 2). وبمكناسة (واصل دعوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاعتدى عليه الغوغاء بالضرب والأذى، فأضطر للسير إلى مراكش التي وصلها هو وأصحابه في منتصف ربيع الأول من سنة 515هـ/1120م) (لسان الدين ابن الخطيب، د.ت: 73) حيث نزل بمسجد صومعة الطوب (المراكشي أبو عبدالله، 1289: 3) مواصلاً بها دعوته (في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإراقة الخمر، وتكسير آلات الطرب). (البديق أبو بكر، 1971: 27).

وفي مراكش وأثناء الجمعة الأولى من وصوله إليها، (توجه إلى المسجد الجامع الذي اعتاد الأمير المرابطي علي بن يوسف أداء صلاة الجمعة فيه، فركع في الصف الأول على مقربة من المنبر، فحاول سدنة المسجد إقناعه بضرورة ترك هذا الموضع المخصص لأمر المسلمين، فأبى أن يتركه وتلا عليهم الآية: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) (الجن، جزء من الآية 18)، وعندما وصل الأمير علي بن يوسف قام إليه الحاضرون بينما بقي ابن تومرت في مكانه). (ابن الأثير أبي الحسن، الكامل في التاريخ، 1987: ج6/196)، ولما انتهت الصلاة (سارع إلى مصافحته وأمره أن يغير المنكر ببلاده لأنه المسؤول عن رعيته، فلم يجبه أمير المسلمين ولكنه لم يكذب يدخل إلى قصره حتى أرسل إليه يسأله إن كانت له حاجة خاصة يقضيها له، فأبدى ابن تومرت زهده في طلب أي شيء وأن لا حاجة له سوى تغيير المنكرات). (لسان الدين ابن الخطيب، د.ت: 73).

كما حدث ذات يوم أثناء تجواله في مراكش، (أنه قابل الأميرة- صورة- أخت الأمير علي ابن يوسف في موكبها رفقة جواريتها

سافرات على عادة المرابطين، فأنكر عليهن سفورهن وتبرجهن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت الأمير عن دابتها). (ابن الأثير أبي الحسن، 1987: ج9/196)، فوقع بذلك (الهرج والإضطراب، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن يوسف، فجمع الفقهاء وشاورهم في أمره، فأشاروا عليه بدعوته إلى المناظرة معهم). (عبد الرحمن ابن خلدون، 1999: ج228/6).

فأستقدمه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (كما استقدم فقهاء مراکش وطلبته وأشياخ لمتونة والمرابطين في مجلسه، وقال لهم: (إنما بعثت لكم لتختبروا أمره؛ فإن كان عالماً اتبعناه، وإن كان جاهلاً أدبناه)، وعندئذ طلب ابن تومرت منهم أن يختاروا من ينوب عنهم في مناظرته فقدموا من اختاروه، فسأله ابن تومرت عن طرق العلم وهل هي منحصرة أم لا؟ فأجابه مقدمهم: «نعم هي منحصرة في الكتاب والسنة والمعاني التي نهيت عليها». فقال ابن تومرت: «إنما سألتك عن طرق العلم هل تنحصر أم لا، فلم تذكر إلا واحداً منها، ومن شروط الجواب أن يكون مطابق للسؤال». فلم يفهم قوله وعجز عن الرد، ثم سأله ابن تومرت عن أصول الحق والباطل ما هي، فعاد إلى جوابه الأول، فلما رأى ابن تومرت عجزه وأصحابه عن فهم السؤال ومعرفة الجواب). (ابن أبي زرع، 1972: 175).

على إثرها أخذ يوضح لهم طرق العلم فبهرهم بعمق معارفه واتساع ثقافته، وفضح جهلهم وعجزهم (حمدي عبد المنعم، 1997: 96).

وقد كان جل من حضر ذلك المجلس من الفقهاء المرابطين، (من علماء الفروع الجاهلون بعلم الأصول القائم على دراسة الشريعة واشتقاقها من الكتاب والسنة، ودراسة النصوص الشرعية والأدلة العقلية، وتفاصيل العقائد وأصول الفقه، ومعرفة النبوة والرسالة وكل ما يتعلق بذلك). (ابن أبي زرع، 1972: 175)، في حين تقتصر معارفهم هم على علم الفروع الذي يقتصر على دراسة فرائض العبادات والمعاملات وأحكامها والحدود والأفضية ونحوها؛ أي على دراسة الجانب العلمي والديني من الشريعة (حمدي عبد المنعم، 1997: 96).

كما كان من أخص ما تميزت به هذه المناظرة، (هو أن ابن تومرت قد أبدى في مناقشته تمسكه بأصول الشريعة إزاء الفقهاء المرابطين وهم أقطاب علم الفروع، وأراد أن يبين جهلهم بمناهج الشريعة الحقيقية فجعل المناقشة تجري على الأصول لا على الفروع، وأبدى في عرضه أنه يرجع إلى الأصول الشرعية خاصة القرآن والسنة ولا يرجع لقول مستخرج، ولا يعتبر الاجتهاد مرجعاً من مراجع الشريعة). (حمدي عبد المنعم، 1997:96)، بينما كانت الدراسات المفضلة عند المرابطين هي علم الفروع. ويقول المراكشي في هذا الصدد: «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلمَ عَلمَ الفروع - أعني فروع مذهب الإمام مالك- فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب والعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نُسيَ النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الإعتناء». (المراكشي عبد الواحد، 1987:131).

3 - اعلان ابن تومرت عن إمامة والمواجهة المباشرة مع المرابطين:

يتبين من خلال المناظرة السابقة، أنه لم يكن من بين فقهاء المرابطين من استطاع أن يقدر براعة ابن تومرت وتبحره في علوم الدين سوى فقيه أندلسي هو- مالك بن وهيب الإشبيلي- الذي كان من كبار العلماء والأدباء، فنبه الأمير إلى خطورة ابن تومرت وتعاليمه قائلاً له: «هذا رجل لا ينبغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه ينبغي تضليل العامة، وإثارة الفتنة والوصول إلى السلطان». وأشار عليه بقتله، ولما رفض الأمير ذلك أشار عليه بسجنه حتى يموت؛ لكن الأمير رفض كذلك وقال له: «علامة نأخذ رجلاً من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق؟، وهل السجن إلا أخو القتل؟، ولكن نأمره أن يخرج عنّا من البلد وليتوجه حيث شاء» (المراكشي عبد الواحد، 1987:133).

فخرج ابن تومرت وصحبه من مراكش (وأقام في خيمة بالجاناة القريبة من المدينة، وأنهال الناس والطلاب عليه فكثر أتباعه ومريدوه، وعندئذ أخذ يتهم المرابطين بالتجسيم ويحثهم على قتالهم،

لأن قتالهم واجب على كل مؤمن حسب اعتقاده). (حمدي عبد المنعم، 1997:97)، فبلغ الأمير علي بن يوسف ذلك، (وتبين له صحة ما قاله له الفقيه مالك بن وهيب من خطورة الرجل ودعوته، فعزم على قتله وأرسل من يأتيه برأسه، فسمع بذلك أحد تلامذته فأتاه مسرعاً بالقرب من خيمته ونادى بأعلى صوته: (يا موسى إن الملاء يأترون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين). وكرر النداء ثلاثة مرات ثم سكت، ففطن ابن تومرت لندائه وبادر بالخروج متخفياً). (ابن أبي زرع، 1972:176) إلى أغمات (أنظر التعليق رقم 3).

وفي أغمات نزل ضيفاً على الفقيه المصمودي- عبد الحق ابراهيم-، فلما أخبره ابن تومرت بمقصده وما جرى له مع أمير المسلمين وفقهاء المرابطين، نصحه عبد الحق بترك أغمات والتوجه إلى تينمل؛ لأنها الأكثر حصانة ومنعة، (فلما سمع ابن تومرت بهذا الاسم، تذكر اسم هذا الموضع في كتاب- الجفر- الذي كان قد طالعه، ويتعلق بعلوم أهل البيت، ورأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس من ذرية رسول الله ﷺ، يدعو إلى الله، يكون (حمدي عبد المنعم، 1997:98) مقامه ومدفنه بموضع من المغرب اسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل) (أحمد ابن خلكان، 1972:ج48/5).

فعزم ابن تومرت على قصده. وواصل مسيرته إلى بلاد السوس فوصل إلى جبل- إيجليز- من بلاد هرعة موطن قومه وعشيرته، فلما استوثق من قبيلته ومنعة موضعه، اعتزم أن يعلن عن إمامته، وفي اليوم الخامس عشر من رمضان من سنة (515هـ/1121م)، قام خطيباً في أصحابه وأعلن أنه المهدي المنتظر الذي بشره رسول الله). (ابن القطان المراكشي، 1990: 88.89)، ولما فرغ من خطبته (جلس في ظل شجرة خروب ليتلقى البيعة من أصحابه، فهرع عشرة من أخلص أصحابه وباعوه على أنه المهدي المنتظر والمعصوم، وكان أولهم عبد المؤمن بن علي، وقد أطلق على هؤلاء العشرة اسم أهل الجماعة، ثم بايعه من بعدهم خمسون رجل فسموا أهل الخمسين، ومن بعدهم سبعون فسماهم أهل السبعين). (ابن القطان المراكشي،

1990: 83.82)، وهذه الطبقات تمثل النواة الأولى لنظام الحكم والإدارة لدولة الموحدين (حمدي عبد المنعم، 1997: 99).
ثم أطلق ابن تومرت على أتباعه (تسمية الموحدين إشارة إلى أنهم هم الذين يوحدون الله حقاً، ويفسر ابن خلدون اتخاذه لهذا الاسم تعريضاً بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم). (عبدالرحمن ابن خلدون، 1999: ج6/226)، ولتسميتهم لأتباعه بالخوارج والمبتدعة، وأحلّ قتالهم باعتبارهم حسب رأيه غير موحدين، وذلك عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، الآية 123). وأطلق عليهم اسم الزرانية تشبيهاً لهم بطائر أسود البطن، أبيض الريش، يقال له (الزرجان) (حسن ابراهيم حسن، 1996: ج4/282)، لأنهم بيض الثياب، سود القلوب حسب (ابن القطان المراكشي، 1990: 132). وبلغت طاعة الموحدين للمهدي إلى حد أنه إذا أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء (عبد الواحد المراكشي، 1987: 143).

4 -دهاء ابن تومرت واستثماره في أخطاء المرابطين:

رافق الجدل الذي طرح حول تزمّت المرابطين وحرقتهم لكتاب الغزالي-الاحياء-- وجود شخصية عبد الله بن تومرت التي لعبت دورها بدهاء على مسرح الأحداث لإجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع، وهو الذي سبق له وأن تجول في العالم الإسلامي ما منحه تجربة ذاتية قوية، واستغل ذكاءه وعلمه في نشر دعوته الدينية الإصلاحية التي كانت مضادة لمبادئ المرابطين الدينية، واستخدم كل الوسائل الممكنة في التأثير على أتباعه ومريديه، هذا بالإضافة إلى تواجد بجانبه تلك القيادة العسكرية الحكيمة المتمثلة عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت في قيادة الموحدين، والذي استخدم مقرّته وذكاؤه في محاربة المرابطين وعدم توفر ذلك للمرابطين، إذ يذكر ابن الخطيب: «كان الموحدون يسيرون في الجبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة، وكان تاشفين ينزل البسائط فلا يجد من البرابرة من يواصله ولا من يستعين به ويدخله، وذلك بسبب الإدبار، وانقطاع الدولة

والأنصار» (لسان الدين ابن الخطيب، د.ت: 97.96). مع استناد الموحدين في دعوتهم إلى قبائل المصامدة الكثيرة العدد، وقدم عداوتهم للملثمين (المبارك الملي، د.ت: ج2/228).

ولا شك أن من أقوى العوامل والأسباب في نجاح دعوة ابن تومرت، هو حسن توظيفه واستغلاله لعصبية قبائل مصمودة ضد قبائل المرابطين الصنهاجية، وتعمق العداوة بينهما منذ زمن بعيد نتيجة الاختلاف في نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين هذه القبائل، ومن خلال المصادر يتبين لنا أن المرابطين لم يصادروا أملاك مصمودة المتحالفة معهم ضد قبائل زناتة عدوهم المشترك، مما ساعد الملثمين على تسيير مهمتهم في احتياح إقليم السوس الأقصى بنجاح، (فأقرهم المرابطون على أراضيهم مكافأة لهم على تعاونهم معهم). (ابن عذاري المراكشي، 1983: ج4/19).

فقد ابتعد الأمراء المرابطين عن إثارة هذه القبائل وأحسنوا معاملتها (لذلك لم يكن السبب في ثورة المصامدة عليهم في أواخر أيامهم، غير الضرائب الكثيرة التي فرضها المرابطين عليهم والطريقة المجحفة في جبايتها. ويتأكد هذا الرأي من وضعية المنخرطين الأوائل في دعوة ابن تومرت، وهم البسطاء من قبائل مصمودة دون أشياخها ورؤسائها، وبالتالي فإن ابن تومرت يكون قد استغل ذلك لصالح دعوته التي يقول أنها هادفة إلى رفع المظالم والمناكر والمغارم عنهم، وهو فقير وأصحابه مثله، وكان يشدد على هذا الفقر في خطبه، متخذاً من مفسدات الطبقة العليا من الحكام والفقهاء مادةً لوعظه، معتبراً جهادهم أعظم من جهاد الروم، وعلى الرغم من أن ابن تومرت لا ينتسب إلى إحدى القبائل المصمودية الكبرى، إلا أنه استطاع بذكائه وقدرته وبعد نظره). (عبد اللطيف دندش، 1988: 38.37)، أن يسيطر على مجموعات قبائل مصمودة الكثيرة العدد، واستطاع بواسطة هذه القبائل أن يحارب المرابطين وكأنهم كفرّة مارقون عن الدين (عبد اللطيف دندش، 1988: 37).

ومن أخطاء المرابطين التي أحسن ابن تومرت استغلالها لصالح دعوته كذلك قضية حرق كتاب الإحياء لأبو حامد الغزالي.

5- استغلاله لحادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبو حامد الغزالي:

كان من أسباب نجاح دعوة ابن تومرت أنه عرف كيف يستثمر في حادثة إحراق المرابطين لكتب الإمام أبو حامد الغزالي، وعلى رأسها كتابه - إحياء علوم الدين - ، والتي حدثت واقعتها في عهد الأمير المرابطي- علي بن يوسف بن تاشفين-، عاملاً بنصيحة وإشارة من البعض من الفقهاء المالكيين خاصة، الذين يتقدمهم القاضي ابن حمدين، وذلك في مسعى من ابن تومرت للنيل من المرابطين والدعاية ضد حكمهم، والخط من مكانتهم وتشويه صورتهم عند العوام والأتباع، رافعاً في ذلك شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقد استغل ابن تومرت قضية الإحراق أيما استغلال، وجعلها قميص عثمان، فهاجم المرابطين وطبقة الفقهاء، رغم أن مسألة إحراق الكتب كان أمراً مألوفاً في الأندلس على الأقل، فقد أحرقت من قبل كتب ابن حزم الظاهري ومعظم كتب مكتبة الحكم المستنصر ولم تحدث تلك الضجة التي حدثت مع إحراق كتاب الإحياء، وذلك ما يدل على ضلوع ابن تومرت في القضية، وإثارتها وحسن استغلالها لصالح دعوته ضد المرابطين وفقهائهم وكأنهم أحرقوا كتاباً مقدساً. يقول ابن القطان: « وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما أُلِفَ مثله سبباً لزوال ملكهم، واندثار سلكهم، واستئصال شأفتهم على يد هذا الأمير العزيز، القائم بالحق المظهر بالسنة، المحيي للعلم». (ابن القطان المراكشي، 1990:72.71).

إذا كان إحراق كتاب الإحياء لأبو حامد الغزالي، قد أوجد خلافاً حوله بين الفقهاء بين معارض ومؤيد (انظر التعليق رقم4)، فإن الأمير علي بن يوسف، (قد نفذ في إحراقه فتوى أجمع عليها الفقهاء في قرطبة وعلى رأسهم قاضي قضاتها عبد الله بن محمد بن حمدين، الذين اعتبروه كتاب ضلال وبدعة). (عبد اللطيف دندش، 1988: 38)، ورجح الدكتور حسن إبراهيم حسن صدور فتوى فقهاء المالكية بالأندلس لسببين هما: (الأول إن كتاب الإحياء كتاب صوفي في روحه يسير على الفلسفة الكلامية التي ينفر منها المالكية ويخشون منها على

مذهبهم. والثاني هو إن الاتجاه الفقهي في هذا الكتاب يسير على المذهب الشافعي). (حسن ابراهيم حسن، 1996: ج4/432).

وعلى أية حال؛ فإن الضجة التي افتعلها ابن تومرت ضد المرابطين بسبب حرق كتب الغزالي (كانت مجرد ستار، فهو لم يعمل بأراء الغزالي ولم ينتفع بها، بل كان مخالفاً لها على طول الخط، فمبدأ الإجتهد الذي يعلق عليه الغزالي أهمية كبيرة في استنباط الأحكام، والذي يتفق عليه أئمة المذاهب السنية، ينكره ابن تومرت كمصدر من مصادر الشريعة، ومعارضته أيضاً لجهود المجتهدين في تجديد الشريعة، لأنه ينتشج بثوب الإمام المعصوم الذي لا تبحث رأؤه، ولا تُناقش أحكامه، ونظرية الإمام المعصوم من أكثر ما عارضه عليها الغزالي وسخر منه). (عبد اللطيف دندش، 1988: 39-40).

أما إحراق كتاب الإحياء للغزالي في أيام علي بن يوسف، (فلا يسأل عنها الرجل، وإنما يسأل عنها فقهاء ذلك العصر ومعظمهم أندلسيون، وكانوا فروعيين يكتفون من العلم باليسير دون الرجوع إلى الأصول، وقد هاجم الغزالي هذا النوع من الفقهاء المتكسبين بالفقه في كتاب الإحياء، فسخطوا عليه وما زالوا بعلي بن يوسف حتى أمر بإحراق الكتاب). (عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 1997: 58).

وقد انطلق المهدي بن تومرت (انظر التعليق رقم 5) لتقويض حكم المرابطين، من رفعه لشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (عبد الواحد المراكشي، المعجب، 1987: 140)، واستغل سماحة المرابطين تجاه رجال الدين، (وكان إرتحاله إلى مدينة مراكش دار مملكة المرابطين لعلمه أنه لا يظهر أمره إلا منها). (عبد اللطيف دندش، 1988: 41)، وفيها تمكن من أن يحلل الأوضاع السائدة في دولة المرابطين بنكاء كبير، وأن يضع يده على نقاط الضعف فيها، والمطاعن التي يمكن أن ينفذ منها إلى نقد المرابطين والتنديد بهم على مستوى الدين والأخلاق.

فهو كان يعلم أن الحكم المرابطي يستند إلى بنية قوية تتركز على التمسك بالمذهب المالكي، والإعتماد على علماء المذهب كهيئة لها جذورها في الدولة المجتمع، (لذلك كان هدفه الأول هو زعزعت

وتقويض تلك البنية، ويقدم الدليل على تراميها على الدنيا ومتاعها، ويبين أنها بعيدة عن الحكام والمحكومين، فيكشفها أمام الناس الذين اعتادوا أن يؤمنوا بتفوقها العلمي، ويفضح دعواها في الزهد، ويجعل بأن جل همها هو منصب رفيع أو سلطة وجاه تتمرغ فيه). (عبد اللطيف دندش، 1988:42).

6 - أهم التهم والنعوت التي وجهها ابن تومرت للمرابطين:

إن من يقرأ كلام ابن تومرت في المرابطين يتعجب للعنف المتجلي في كلامه نحوهم، كون أن الرجل قد أذهله طموحه السياسي عن كل حقيقة حتى تخطى كلامه خلق ومبادئ الإسلام، التي لا تعرف مثل هذا اللدد في الخصومة، وإلا فكيف يقال في المرابطين الذين قامت دولتهم على أساس ديني قوامه العمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، (إنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ولا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل). (عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 1997:80).

إذ يقول: «وقالوا لهم أي أن المرابطين قالوا للناس لا تلتزمكم طاعتهم (طاعة الموحدين) في ذلك كله، إتباعاً لأهواء الكفرة وافتراء على الله، وبغضوا إليهم التوحيد، وحذروهم من الرجوع وسلوك سبيلهم، وحاولوا تبديل الكلام، وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقولوا علينا بما لم نقل تهجيناً وتبغيضاً للحق عند العوام حتى لا يصغوا إليه ولا يقبلوه، وعددوا لهم جماً من الأبواب، ونسبوا ذلك كله إليه، وأنهم أحدثوا من المناكر والمغرم، وتقلبهم في السحت والحرام، يأكلون منه ويشربون ويغدون ويروحون» (ابن القطان المراكشي، 1990:94).

كما اتهم المرابطين بالكفر وقال: «إن من يؤيدهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولست منه ولا يرد على الحوض» (انظر التعليق رقم 5)، واتهم ابن تومرت جميع من أيد المرابطين بأنهم: «باعوا دينهم بعرض من الدنيا، يصبح أحدهم مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أحدهم دينه بدنيا غيره» (عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 1997:81). بل رماهم بالإرتداد عن الدين والتبديل والتغير في دين الله، وذهب إلى أدنى من ذلك، فوصف

المرابطين بلفظ الزراجنة مثلما رأينا مسبقاً، وسماهم أيضاً المجسمين، لأنه ألزمهم في المذاكرة (أي في الدعوة وتذكير الناس بفضائل الموحدين ونقائص المرابطين)، أنهم يقولون (بالتجسيم والمكان، ويسمون بالحشم للثامهم كما يفعل النساء المحتشمات). (عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 1997:81).

ولا يعقل أن ابن تومرت كان جاهلاً بأن اللثام تقليد من تقاليد صنهاجة الصحراء، فكيف يُسوغ أن يتخذ منه وسيلة للنيل من المرابطين والخط من شرفهم وشبههم بالنساء، ولا يكتفي ابن تومرت بذلك؛ بل يمضي فيتهم المرابطين بأنهم كفار طاعتهم حرام، ومنافقون ومتبعون للهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون، ثم يدعو إلى قتالهم على اعتبار أنهم كفار، وقد وظّف آيات قرآنية وأحاديث في تحريم طاعة الكفار، ويسمي حربهم جهاد ويقول: « فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل، فحق على المسلمين جهاده حتى يأخذوها منه فكيف بمن منع الإيمان والدين والسنة » (ابن القطان المراكشي، 1990:98.99).

ولم تكن هي تلك المآخذ الوحيدة لابن تومرت على المرابطين، (إلا أن أشدها في رأيه وهو مسألة التجسيم؛ أي جعل لله تعالى صفات جسمانية، وكان منشأ ذلك الخطأ في نظر ابن تومرت، هو أن فقهاء المغرب في عهد المرابطين خلافاً لزملائهم في المشرق الذين بلغوا في ذلك الوقت من التطور غايته فيما يتعلق بعلم الكلام، ومع ذلك ظلوا يلتزمون في الآيات القرآنية التي فيها ذكر لصفات الله النص الحرفي لها فيما يفضي إلى التجسيم للذات الإلهية وإلى إثبات صفات جسمانية لله تعالى، والمعلوم هو أن فقهاء المرابطين لم يثبت عنهم مسألة التجسيم، وقد كان ابن تومرت وراء هذه التهمة للمرابطين رداً على اتهام المرابطين لأتباعه من الموحدين وتسميتهم بالخوارج). (عبد اللطيف دندش، 1988:134). وقد استغل ابن تومرت كل هذه المآخذ عن حكم المرابطين (وأخذ يشيع دعوته بين القبائل، فألّفت حوله عدد كبير من الأتباع خاصة من قبائل المصامدة). (ابن أبي زرع، 1972:114).

ورغم أن نقده للمرابطين في مجمله لم يكن على صواب أو حق، (إلا أنه كان رجلاً جريئاً لا يخاف السلطة ورجالها، وكان مغامراً يطلب الكثير ويهون عنده الكثير في سبيل ذلك، فمضى يقول كلاماً يرمي من ورائه إلى إثارة غضب رجال الدولة حتى يتعرضوا له بالحبس والأذى والإخراج من البلاد، فيزداد صيته ويكثر جمعه، لأن الناس آنذاك يستهويهم أمثاله، ويسرهم أن يجدوا شخصاً يتحدى الحكومة ورجالها، سواء كان على حق أم على باطل، لأن مهما كانت الفكرة التي في أذهانهم أن رجال الحكومة دائماً على باطل، وأي ناقد لهم يكون على صواب). (عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 1997: 73). على أن علماء المغرب المرابطين لم يتقبلوا مذهب ابن تومرت؛ بل قاوموه بعنف حتى لقي كما قال ابن خلدون: «إذابات في نفسه اعتبرها من صالح عمله» (عبد الرحمن ابن خلدون، 1997: ج6/226).

7 - تغلب الموحدين على المرابطين وإنهاء حكمهم في المغرب والأندلس:

يعد ظهور الدعوة الموحدية وشروع ابن تومرت في دعوته ضد المرابطين، مؤشراً فعلياً وقوياً لقرب نهاية الدولة المرابطية، (ففي سنة 512هـ/1117م) بدأ ابن تومرت يناوي سلطان المرابطين في المغرب، ف وقعت بين الطرفين عدة معارك، كان أهمها معركة - البحيرة - التي كان فيها جيش الموحدين بقيادة محمد البشير الونشريسي الذي قتل في هذه المعركة، والتي فقد فيها ابن تومرت أكثر أصحابه العشرة وآلأفاً من خيرة جنوده، واشتد به المرض فمات في عام 524هـ/1129م) (لسان الدين ابن الخطيب، دت: 86)، وخلفه عبد المؤمن بن علي الذي كان سياسياً محنكاً وقائداً ماهراً، استطاع أن يعيد إلى الموحدين قوتهم ويرد إليهم هيبتهم، فأستولى على الكثير من بلاد السوس في حياة الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين.

عند وفاة الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ/1142م)، (ولي من بعده ابنه تاشفين، فأستخلف هذا الأخير على مراكش ابنه إبراهيم وأخذ يحارب عبد المؤمن ويتعقبه في كل مكان ، وقد سار تاشفين إلى مدينة تلمسان فدخلها ثم قدم عبد المؤمن

لقتاله، وإتخذ الجيش المرابطي مواقعه في السهل، وربض الجيش الموحيدي في الجبال المحاذية له، وعقب المعركة فرّ تاشفين إلى مدينة- وهران في الجزائر- ليتخذها حاضرةً لدولته فحاصره الموحدون، ولمّا اشتد الحصار على تاشفين صعد إلى ربوة تشرف على البحر في ظاهر المدينة وفي أعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون. وعلم أبو حفص بن عمر بن يحيى صاحب المهدي بن تومرت بمكانه، فلحق به وأصحابه وحاصروه وأحرقوا باب الرباط، فخرج تاشفين راكباً فرسه فأسرع الفرس لينجوا طالباً النجاة فصادفته صخرة، فهوى تاشفين بفرسه من فوقها فقتل، وقتل من كان معه من خاصته، واحتز الموحدون رأسه وحمل إلى تينملل مركز الدعوة الموحدية، وكان ذلك في يوم 27 من شهر رمضان سنة (539هـ/1144م) (ابن أبي زرع، 166:1972)، فولى المرابطون بعده أخاه إسحاق بن علي بن يوسف (حسن ابراهيم حسن، 1996: ج 4/ 124).

وبعد أن استولى عبد المؤمن بن علي على تلمسان، سار إلى فاس فملكها، ولم يبق له من ملك المرابطين سوى العاصمة مراكش، التي حاصرها في عهد الأمير إسحاق بن علي، الذي استنجد بجيش من النصاري، لكن ذلك لم يمنع من سقوط مراكش في يد عبد المؤمن سنة (542هـ/1139م). وبها تمكن الموحدون من الإستيلاء على بلاد المغرب وقضوا على حكم المرابطين فيه (الجيلالي سلطاني، 1967: 31.30).

أما بلاد الأندلس، فإن استدعاء الأمير علي بن يوسف لإبنه تاشفين من الأندلس لمواجهة خطر الموحيدين في المغرب، يمثل بداية اضمحلال حكم المرابطين في الأندلس، ولهذا كان من الطبيعي وقد رحل إلى المغرب مصطحباً معه خيرة الجنود، أن تضطرب الأحوال وتقوم الثورات من جديد في الأندلس (عبد الله عنان، 1990: ج 1/ 30.29)، وأن تزداد حدتها بعد وفاته شرقاً وغرباً، فأصبحت بلاد الأندلس عبارة عن دويلات تقاسمها الثوار بينهم، معلنيين انفصالهم عن حكم المرابطين والدخول في دعوة الموحيدين المضادة لهم، فلم تنفعهم ثوراتهم وأسرعوا ببلادهم إلى الزوال. وكان على رأس هؤلاء القاضي عياض الذي استقل بشرق الأندلس،

والقاضي أحمد بن حمدين بقرطبة، والقاضي أحمد بن قسي في غرب الأندلس وغيرهم.

وفي هذه الظروف التي تمر بها الأندلس، وجه عبد المؤمن بن علي نظره إليها فوجد ثوارها قد أطاحوا بمعظم ولاية المرابطين، ووجدهم قد مهدوا له الطريق للنفوذ إليها. وفي سنة (541هـ/1138م)، فإن أحد أبرز قادة التصوف الذين اضطهدهم المرابطين وهو - ابن قسي-، عبر البحر إلى عبد المؤمن بن علي بمراكش ورغبه في إمتلاك الأندلس، فجهز هذا الأخير جيشاً عظيماً عبر به البحر ونزل به الأندلس مقتحماً مدنها الواحدة بعد الأخرى، ومما يلاحظ هنا وتتوجب الإشارة إليه، هو أن بعض الذين أعلنوا الولاء لعبد المؤمن بن علي حين اقتحم مدنها بالأندلس، سرعان ما ارتدوا ناكثين عهودهم في الطاعة للموحدين، ولكن عبد المؤمن استطاع بعد أن اخضع ملك المرابطين له في المغرب أن يجتاز البحر سنة (551هـ/1148م) إلى الأندلس فيملكها ويخضعها لحكم الموحدين (عبد الرحمن خلدون، 1999: ج6/238).

الخاتمة:

من خلال تتبعنا لتفاصيل ومراحل الدعوة الدينية التي خاضها عبد الله ابن تومرت في صراعه مع المرابطين تبين لنا مجموعة من الإستنتاجات من أهمها:

أنه كان للصفات والقدرات الشخصية والعقلية التي تمتع بها عبد الله بن تومرت من فطنة وذكاء ومكر ودهاء، دور كبير في حسم الصراع ضد المرابطين لصالحه ولصالح اتباعه الموحدين، حيث أنه عرف كيف يوظف كل ذلك في تعبئة الناس في صالح دعوته وتأليبهم على خصومه المرابطين.

استعمال ابن تومرت لعدة أساليب وطرق خداع ومكر منذ بداية دعوته وفي مقدماتها ادعائه النسب القرشي لإضفاء الشرعية على نفسه وعلى دعوته، وتحقيق التقاف الناس حوله، لعلمه المسبق بمدى احترام وتقديس الناس لآل البيت.

انطلاق ابن تومرت في دعوته ضد المرابطين من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتهامه للمرابطين بأنهم لا يقومون بذلك، ومتقاعسين عنه في بلادهم، مشيراً إلى انتشار بعض السلوكات

والأفعال المحرمة التي قال أنها أصبحت متفشية في دولتهم، ومنها شرب الخمر وانتشار المعازف واللات الطرب، وتبرج النساء وسفورهن واختلاطن بالرجال وغيرها.

إن تبحر ابن تومرت في الكثير من العلوم العقلية كالفسلفة وعلم الكلام والتنجيم، والنقلية كالفقه والعقيدة واللغة وغيرها، مكنه من التمتع بقوة في الحجاج والبرهنة والبيان، وبالتالي تغلبه على الخصوم في الجدل والمناظرة، كما هو الشأن حين مناظرته مع فقهاء المالكية الذين دعاهم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين لمناظرته.

ومجمل القول، أن عبد الله بن تومرت كان رجلاً طموحاً يهدف إلى السلطة والملك، عرف كيف يوظف ذكائه ودهائه في صراعه مع المرابطين، حين أخذ يتتبع أخطائهم ويستثمر فيها لصالحه، ولعل أبرزها هو استغلاله أيما استغلال لقضية حرق مؤلفات الإمام أبو حامد الغزالي وفي مقدمتها كتابه – احياء علوم الدين-، وعرف كيف يثير الضجة حوله بين الناس وكان المرابطين أحرقوا كتاباً مقدساً.

وقد ساعدته عدة عوامل وظروف من أجل بلوغ غايته وأهدافه، ومنها رحلته العلمية إلى المشرق، التي أفادته في تنمية معارفه وتقوية قدراته وخبراته، إضافة إلى الضعف الذي طبع أيام المرابطين في أواخر عمر دولتهم وخاصة في عهد الأمير تاشفين بن علي، وتعدد أخطائهم، وكثرة الجبهات ضدهم، النصاري في الشمال بالأندلس، وتمرد المتصوفة والقضاة بالداخل، إضافة إلى ظهور الموحدين بالجنوب، فكل هذه العوامل، عرف ابن تومرت كيف يوظفها في دعوته ضدهم، ويحسم بفضلها الصراع معهم لصالح دعوته وأتباعه الموحدين، ويؤسس دولة على حساب دولتهم، ورثت أملاكهم في المغرب والأندلس، وبفضل كذلك توفر قيادة عسكرية متميزة هي الأخرى وقوية ممثلة في شخصية ساعده وذراعه عبد المؤمن بن علي الكومي.

التعليقات والشروح:

التعليق رقم 1: مكناسة، مدينة بالمغرب قرب فاس، عبارة عن مدينتين صغيرتين اختط إحداهما يوسف بن تاشفين، وهي مشهورة بأشجار الزيتون ولذا سميت بمكناسة الزيتون، أنظر: الإدريسي الشريف، (1866)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبع بمدينة إيدن، مطبعة بريل، ص76./ الحموي، شهاب الدين

أبي عبد الله ياقوت(1977)، معجم البلدان، دبط، دار صادر، بيروت، ج4، ص181.

التعليق رقم2: أغمات مدينة صغيرة جنوب مراكش، كانت من أشهر المراكز الحضارية والثقافية في المغرب الأقصى قبل بناء مراكش، ويصف ياقوت الحموي أغمات قائلاً: "وليس في المغرب بلاد أجمع لصفات من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا أخصب منها". أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص225. الإدريسي، المصدر السابق، ص67، 66.

التعليق رقم3: اعتبر لاجاردر lagardere سفر ابن تومرت إلى الأندلس، وأخذ العلم على شيوخها بعض الوقت، وتعرفه على الحالة الأندلسية عن كتب، قد كان له دوراً في إعداده للقيام على المرابطين، وقد ذكر ابن القطان أن ابن تومرت ذهب إلى قرطبة لتلقي العلم، ثم سافر إلى المرية ومنها إلى المشرق، وربما يكون خلال إقامته في قرطبة أو المرية قد احتك بالصراعات الفكرية، واستمع إلى وجهات النظر المختلفة بين مدرسة قرطبة ومدرسة المرية تجاه مختلف الأفكار خاصة ما كان يدور في ذلك الوقت حول كتب الغزالي. أنظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص62. عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص38.37.

التعليق رقم4: كان إحراق كتاب الإحياء قد أوجد خلافاً حوله بين الفقهاء بين معارض ومؤيد، فقد صدرت أوامر أمير المسلمين علي بن يوسف بحرق كتاب الغزالي بناءً على إجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها، وذلك في أول عام (503هـ/1129م) حسب ما ذكره ابن القطان في نظم الجمان، ص71.70. حسن علي حسن(1980)، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس : (عصر المرابطين والموحدين). مكتبة الخانجي، مصر، ط1، ص451.

وقد لقي فعل الإحراق هذا معارضة من بعض الفقهاء والمتصوفين ومنهم أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالنحوي، الذي أقام بفاس، ومات بها سنة(513هـ/1119م)، والذي أعلن عن رأيه ببطلان فتوى الإحراق، والعالم أبو محمد عبد الله المليجي من أغمات وريكة ومات بها قبل سنة (540هـ/1145م)، والذي كلما سُئل عن أحد من الذين أفتوا بإحراق كتب الغزالي دعا عليهم وقال: لا يصلح هؤلاء الأشقياء أبداً، فما انقضى شهراً حتى مات جميع أولئك الفقهاء. أنظر: التادلي، أبي يعقوب يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات، (1984)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص95 و145. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص453.

التعليق رقم5: بدأ ابن تومرت من أول وهلة كرجل ثائر على الحكم في عصره، وعلى التقاليد والأخلاق السائدة في المجتمع الإسلامي قبل أن يعود إلى المغرب

من المشرق، وفي أثناء عودته كان يتوقف في كل بلد وفي كل مدينة يمر بها، وحتى داخل السفينة التي أقلته كان يلقي المواعظ المؤثرة والمثيرة دون أن يحفل بما يتعرض له من مطاردة واضطهاد. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 50.45. ابن الخطيب، المصدر السابق، الحل، ص83. عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص40.39.

المصادر والمراجع:

- 1- أبو رميلة، هشام، (1984)، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية بالأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن.
- 2- الإدريسي الشريف، أبو عبد الله محمد، (1866)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبع بمدينة إيدن، مطبعة بريل، هولندا.
- 3- ابن القطان المراكشي، أبي محمد حسن بن علي، (1990)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 4- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف جمال الدين (د.ت)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط، دار الكتاب، مصر.
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان، (1999)، تاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 6- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (1972)، وفياة الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت.
- 7- ابن أبي زرع الفاسي، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، صور للطباعة والوراقة، الرباط.
- 8- ابن القلانسي، حمزة بن أسد، (1983)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق.
- 9- ابن قنفذ، أبو العباس القسنطيني، (1983)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط4، دار الافاق الجديدة، بيروت.
- 10- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، (د.ت)، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس.

- 11- ابن الأثير، أبي الحسن علي، (1987)، الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 12- البيهقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي، (1971)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، د.ط، دار منصور للطباعة، الرباط.
- 13- التادلي، أبي يعقوب يوسف المعروف بابن الزيات، (1984)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- 14- حسين مؤنس، (1992)، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، طبعة خاصة، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، مصر.
- 15- حمدي عبد المنعم، (1997)، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- 16- حسن ابراهيم حسن، (1996)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 17- حسن علي حسن، (1980)، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس: (عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر.
- 18- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، (1977)، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت.
- 19 - الجيلالي سلطاني، (1407هـ/1987م)، رسالة ماجستير، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وأدبها، دمشق.
- 20- عبد المجيد النجار، (1995)، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية.
- 21- عصام عبد الرؤوف الفقي، د.ط، تاريخ المغرب و الأندلس، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.
- 22- عصمت عبد اللطيف دندش، (1988)، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- 23- الزركشي، أبي عباس محمد، (1966)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضي، ط2، المكتبة العتيقة، تونس.
- 24- مؤلف مجهول، (1979)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وآخرون، د.ط، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء.
- 25- محمد عبد الله عنان، (1990)، دولة الاسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 26- محمد علي الصلابي، (1988)، دولة الموحدين، د.ط، دار البيارق، عمان.
- 27- المقرئزي، أحمد بن علي تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 28- المراكشي، محي الدين عبد الواحد، (2006)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.
- 29- المراكشي، ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، (1983)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت.
- 30- المراكشي، عبد الواحد، (1997)، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- 31 - المراكشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، (1289)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، د.ط، تونس.
- 32- الملي المبارك، د.ط، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

للإحالة على هذا المقال:

- عدة الشيخ، (2022)، « مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين في دعوة المهدي بن تومرت وأثرها في قيام دولة الموحدين ». المواقف، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص.ص 662-684.